الطلاق وتعدد الزوجات

سبق من القول في ختام رسالتي التي عنوانها (مجمل حياة النساء) ان ساتكلم عن ضرر الطلاق وتعدد الزوجات . وقد اطلعت في العدد السادس من مجلتكم الزاهرة على رسالة لذلك الفاضل (المنتقد المخلص) في هذا الموضوع اوضح فيها مما تكنهُ ضمائرنا من الشكوى واماط النقاب عما نكابده من الظلم والحيف بقطع النظر على التعصب الجنسي وابان الحق الذي لايخشى فيه لومة لائم . فنعم المخلص هو ونعم الباحث عن رقيق الاحساسات النسائية . اما الضرر الناتج عن الطلاق فهو عدم وجود الامن في فؤاد المرأة المسلمة لان الطلاق يكون عليها كالقضاء المبرم الذي تكون المرأة منه على حذر اذ انها لا تجد لها املاً في البقاء فهي كمن ينتظر الموت ولا يعلم متى يكون وقوعه . ولو كان الطلاق محدوداً لامر واحد او لامور معلومة ظاهرة لاجتنبتها المرأة واصبحت مستريحة الضمير ولكنها لاترى نفسها الا مطرودة على حين بغتة لاقل هفوة لاتستحق الطرد بسببها ولاتظن ان جزاءها فيها الطلاق او قد تكون لاذنب لها البتة الا ما رآهُ زوجها في سواها من ثروة او ميل لغاية فتصبح طريدة آسفة حزينة القلب باكية العين لاتجد من منصف ولا نصير واذا سألت من ينصفها قيل لها ان للرجل اربع نساء وما ملكت يمينه زعماً منهم ان ذلك فرض واجب على كل رجل وانه من واجبات شريعتنا الغراء وهو حق على كل مسلم ان يجريه وان من واجباتنا الامتثال لذلك الامر الخطير وان الرجل صاحب التصرف المطلق في امر المرأة وله الحكم والامر ان شآء طلق وان شآء امسك وان شآء احب وان شآء هجر وله الحكم بكل مايتعلق بحياتها ولا حكم لها

في نفسها مطلقاً . فصبرنا على هذا الحكم الجائر عن مضض وكره خوفاً من خراب البيوت وتشتيت الاطفال ولكن لم يزدنا الصبر والامتثال الا ثقلاً وهماً حتى صرنا نغبط المسيحيات مع ضيق مجالهنّ في امر الزواج ومعما يكابده البعض منهنّ من مرارة النفرة وعدم الالفة والامتزاج الزوجي . ثم ان المرأة عندنا قد تضطر كثيراً لاستعمال الحيل والكذب والتدليس لترضي زوجها بأية صفة كانت لانها تهابه وتخشى غدره كما تهاب الذي لاعهد ولا ميثاق له فهي معه كعدو محتال وهو معها كالخصم المترصد يريد اغتيالها من كل سبيل . وحقاً اقول انه مامن امرأة تصافى زوجها في معاشه وتربية اولاده مالم تكن على ثقة من امره ولا تتوفر لديها الثقة والطمأنينة مالم يبطل الافراط في مسئلة الطلاق ويتحدد على نمط يجريه رجال الشرع الشريف

اما تعدد الزوجات فهو اشد وانكى واذا كان الطلاق اشبه بدخول الموت الفجائي فان اجتماع الضرائر اشبه بالخلود في عذاب الجحيم وذلك لالتهاب الغيرة في قلوب النساء ولان المرأة ترى لها شريكة في زوجها الذي لا يشاركه فيها احد ومقاسمة لها في معاشها بل في فكرها وقلبها وحواسها فتبقى دائماً منشغلة الفكر واجفة القلب مضطربة الحواس تتحمل من الرعشة والاضطراب مايفوق تحملها في مسألة الطلاق بمراحل وكم من بنات مرضن بداء السل وكل مرض عضال لهذا السبب وكم من أولاد نشأوا على غير هدى وكم من امرأة كابدت صروف الغيرة التي تصرف كل حواسها عن اشتغالها في تدبير منزلها وتربية اولادها وتهذيبهم وتشغلها بنفسها عن كل امر لان الغيرة هي المرض الصارم والعذاب الدائم ولا سيما اذا كانت المرأة تألف زوجها وليس لها عنه مناص

وقد اتخذ الرجال كل الاحتياطات اللازمة لمنع غوائل الغيرة عنهم وعدم

تسلطها على قلوبهم واثقلوا على النساء الحجاب واستعملوا دوننا كل قسوة فلم نضجر ولم نشك و.... اما فساد الاولاد فلا بد منه اذ تضطر المرأة ان تستعمل اولادها لغاية في النفس تريد ان تقهر به ضرائرها وتنتصف لنفسها منهن فتغرس في قلوبهم البغضاء وتربيهم على حب المنازعة التي تحصل بين الضرائر فلا يخرجون من مهد الطفولية الا وقد درس كل فريق منهم ما اكتسبه عن تلك المدرسة الاولى فلذا ترى الاخوة اعداء بعضهم لبعض والاب عدو للجميع وهناك ترى المنزل كانه المجلس الابتدائي او المحكمة الشرعية لايخلو يوماً من الشكاوى والدعاوى ولا يهدأ من المكايد والحيل لنهب اموال الرجل لان كلاً من الضرائر والاولاد يريد ان يأخذ لنفسه نصيباً من امواله فترى الرجل عند ذلك اسيراً ولا كالاسارى وذليلاً ولا كالاذلاء ليله في كدر ويومه في ضرر وقد صار المال والاولاد اعداء له على حكم الآية الشريفة .

وهذه المحاكم ترينا كل يوم من القضايا المختلفة بين الابناء والآباء وهذه الصحف تسمعنا من الاخبار المستغربة مثل فلان قتل اباه وفلان قتل اخاه مالم نسمع بمثله عن الاوروبيين وكل هذا مسبب عن غرس القسوة في قلوب الابناء من الاصل بسبب تعدد الزوجات واختلاف الامهات ولنا عبرة في قصة يوسف الصديق وكيف ابغضهُ اخوته لابيه واستخلص اخاه لامه

فاي لذة للرجل في هذه المعيشة التي اولها كدر وآخرها ضرر وهو غير مكلف بها من قبل الشرع وما ذلك الا طمع في النفس الامارة يقصد بها التنزه وهو محال . فلا يظن العاقل ان الرجل المشترك له ادنى الفة في قلوب النساء عكس الذي يصبر على زوجة واحدة الا لنفرة او عيب شرعي يجبره على فراقها بحيث لو كان الطلاق بيد المرأة ووجدت فيه ذلك العيب او النفرة

لاجرت طلاقه بنفسها فلا جناح عليه حينئذ ان سرحها باحسان فان فعل ذلك كان غير ملوم عند الله والناس. ولو قنع بزوجة واحدة لعاش عيشة راضية واكتفى كل ماذكرناه من المتاعب والمشقات واكتسب حب الاهل والاولاد. ولقد اجمع العالم الانساني على ان الزوجة شريكة الرجل في حياته. وقد صدقوا ان لم يكن لها شريك فيه .. وانها اساس المنزل القائمة بعمرانه. وقد صدقوا ايضاً ان لم يكن معها رئيس آخر .. وانها المدرسة الاولى لاولادها على كلا الحالين .. والمسلية ان لم يملأ فكرها وساوس .. والمقتصدة في ماله ان لم تعلم انه لغيرها .. والمخلصة له الوداد ان آنست منه شعائر الاخلاص ..

اما عدم الطلاق البتة فانه مضر ايضاً عند عدم امتزاج الزوجين في المعيشة والالفة فانهما والحالة هذه كالمحكوم عليه بالسجن المؤبد الذي لامناص له منه الا بالموت . وقد يكون فيهما عيوب شرعية كعدم الحمل مثلاً او يكون الرجل عقيماً فيكونان شريكين في داء واحد وان يكن احدهما بريئاً منه وهذا مضر جداً في النظام النوعي وكثيراً مايقع النفور بين الزوجين من المسيحيين فيضطران للافتراق وهما داخل القيد ولايقدر احدهما ان يقترن بزواج اخر فيبنيان عشهما على الخراب وينتظر احدهما موت الاخر بفروغ صبر . وقد شرعت اوروبا في تعديل هذا القانون المخل بالنظام البشري . فماذا على امتنا لو اشتغلوا في تعديل مسئلة الطلاق وتعدد الزوجات على النمط الشرعي لان الله جعل لنا قيداً من جهة العدل بين الزوجات ومن ذا الذي يعدل بين اثنتين في وقتنا هذا غير انهم يتبعون اهواء النفس وتوجهات القلب والنفس امارة بالسوء والقلب دليل الى مضرات الامیال والاهواء .